مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (39) العدد (5)2017
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (39) No. (5) 2017

الصراع الفارسي البيزنطي على سورية في النصف الأول من القرن السابع الميلادي

د. براءة صقور *
صبا سليمان**

(تاريخ الإيداع 3 / 4 / 2017. قبل للنشر في 14 / 9 / 2017)

□ ملخّص □

عانت سوريا في تاريخها القديم من الصراعات الكثيرة التي قامت على أرضها،ويمثل الصراع بين الإمبراطورية الفارسية والإمبراطورية البيزنطية أحد أهم وأطول تلك الصراعات التي قامت للسيطرة على أهم مدنها كدمشق والرَها والقدس.وتحمل العرب القاطنين فيها أهوال تلك الصراعات وعانوا منها الكثير ، فقد اتخذت الإمبراطورية الفارسية من العرب المناذرة في العراق درعاً يقيهم هجمات البيزنطيين وكذلك البيزنطيين اتخذوا من الغساسنة القاطنين في سورية درعاً يقيهم هجمات الفرس وارتبطوا معهم بأحلاف ومعاهدات. استمر هذا الحال حتى الفتح الإسلامي حيث دخلت سوريا في الدولة العربية الإسلامية الأولى.

الكلمات المفتاحية: امبراطورية، بيزنطة، فارس ، سوريا، الرها، كسرى أبرويز،شهرباراز، موريس، جوستنيان، بهرام، ساسان، آفار، سلاف .

* مدرسة ، كلية الآداب ، قسم التاريخ. جامعة تشرين، اللاذقية، سورية.
**طالبة دراسات عليا (ماجستير)، كلية الآداب ، قسم التاريخ. جامعة تشرين،اللاذقية ،سورية.

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (39) العدد (5)2017
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (39) No. (5) 2017

The Persian-Byzantine conflict on Syria in the Mid seventh century AD

Dr. Braah Sakkour*
Seba Sulieman**

(Received 3 / 4 / 2017. Accepted 14 / 9 / 2017)

□ ABSTRACT □

Syria has suffered in the ancient history of the many conflicts that have at home, and represents a conflict between the Persian Empire and the Byzantine Empire one of the most important and longest of these conflicts that have to control the most important cities such as Damascus and Edessa and Akadds.othml Arabs living there the horrors of those conflicts and suffered a lot, the Persian Empire has taken Arabs in Iraq Manathira shield shielding them Byzantines attacks as well as from the Byzantines took Ghassanid living in Syria shield shielding them Persians attacks and have been associated with them Bohlav and treaties. This situation continued until the Muslim conquest of Syria where he entered in the first Arab-Islamic state.

Keywords: empire, Edessa, fractions Opervez, Chehrpazar, Morris, Justinian, Bahram, Sasan, Afar, Slav.

*Assistant Professor, Faculty of Arts, , History Department. Tishreen University,Lattakia, Syria.
**Postgraduate student Majestyr, Faculty of Arts, History Department., Tishreen University, Lattakia, Syria.

مقدمة:

بدأت نهضة إيران بعد تدهور الأسرة الأرشاقية (الفرثية) في مطلع القرن الثالث الميلادي، على أيدي أسرة حاكمة جديدة كانت آخر السلالات المالكة في تاريخها القديم، وهي الأسرة الساسانية[1]وترجع تسمية الساسانيين إلى الجد ساسان الذي كان كاهناً في معبد الربة إنا هيتا في اصطخر*[2] لقد تمكنت الأسرة الساسانية من تأسيس سلطة مركزية ، واستطاعت أن تكوّن جيشاً مدرباً قوياً، وأن تقيم في طول البلاد وعرضها إدارة داخلية، امتدت من الشرق الأقصى إلى أطراف الشام وهذا ما شكل البنية الجديدة لإيران الساسانية. وفي الوقت الذي كان فيه عالم البحر المتوسط قد أصبح تحت سيطرة الروم البيزنطيين.

أهمية البحث وأهدافه:

يهدف البحث إلى إبراز أهمية موقع سوريا الإستراتيجي بالنسبة للإمبراطورية الفارسية والبيزنطية، والحديث عن أهم المدن التي دار حولها الصراع وأسباب ذلك الصراع السياسي والديني.

منهجية البحث:

المنهج المتبع في البحث يعتمد على الدراسات السابقة وتحليلها واستنتاج المعلومات للوصول إلى الحقيقية.

أولاً: أوضاع فارس وبيزنطة في نهاية القرن السادس الميلادي:

يمكن أن نعد ثمانينات القرن السادس الميلادي بداية تفتت نهائي للإمبراطوريتين البيزنطية والساسانية، و الذي أسفر في النصف الأول من القرن السابع الميلادي عن قيام الدولة العربية الإسلامية الموحدة[3]

ففي مطلع القرن السابع اندلعت في الشرق الأدنى الصراعات والحروب، وتحولت آسيا الصغرى وسوريا بما فيها فلسطين إلى مسرح لهذا الصراع ، وسقطت هذه البلدان فريسة في يد الدولة الساسانية، وأصبحت مصر نفسها محط أطماعهم بعد أن أجلّوا الأحباش عن اليمن وحلو محلهم.[4]

1: أوضاع الامبراطورية الفارسية:

امتد عمر الدولة الساسانية أكثر من أربعة قرون ، إلا أنها لم تكن على وتيرة واحدة، فقد تقلبت بها الأحوال وواجهت أزمات كبيرة ، ومرت بفترات عصيبة، و كان عليها خوض سلسلة من الحروب امتدت ما بين القرنين الثالث والسابع الميلاديين دون أن تتمكن بنتيجتها من تحقيق نصر حاسم [5] كما كان عليها مجابهة الإمبراطورية البيزنطية المنافس الأكبر لها آنذاك.

وقد ضمّت الإمبراطورية الفارسية فيما ضمّته بين ممتلكاتها ، إيران برمتها حتى مشارف الهند، وجانباً كبيراً من بلاد ما بين النهرين وأرمينيا، كما ضمّت بلاد ما وراء النهر من بلاد الصغد وبكتريا حتى خوارزم[6]

---

[1]- فرزات ،محمد حرب، مدخل إلى تاريخ فارس وحضارتها القديمة قبل الإسلام، دمشق، 1988،ص140.
[2]-العلان، أرواد، فارس وبيزنطية، دار علاء الدين، دمشق، 2009،ص12.
[3]- فرزات، ،مدخل إلى تاريخ فارس، ص141-142.
[4]- بروي، إدوار، تاريخ الحضارات العام ،القرون الوسطى، ترجمة يوسف أسعد داغر،بيروت،ص 183
[5]- حسين، عبدالله محمود، دراسات في التاريخ العسكري، ط1، دمشق،2000، ص490.
[6]-النفزاوي، محمد الناصر، فارس وبيزنطة والجزيرة العربية من القرن الثالث إلى القرن السابع، دار الجنوب للنشر، ص 95.

وقد توالى على عرش الدولة الساسانية حوالي ثلاثون ملكاً من بني ساسان، كان آخرهم يزدجرد الثالث بن شهريار بن كسرى، وفي عهده دخلت الهضبة الإيرانية في نطاق الدولة الإسلامية[7]

خلف كسرى أنوشروان هرمز الرابع على العرش سنة 579 م خير خلف له من وجوه عدة [8]علماً أن هرمز كان يتبع سياسة أبيه ولكن مع حيطة واعتدال[9] وحينما ولي هرمز العرش كانت المفاوضات تدور بين بيزنطة وفارس لوضع حد للصراع الدائر بينهما ، ولم تنته لنتيجة، ثم تجددت سنة 581 م ولكن أيضاً من دون نتيجة.

لذلك استؤنفت الصراع القديم ولكن القادة الساسانيين (الإيرانيين) لم يكونوا مظفرين وكان أكفأهم بهرام الملقب بجوبين (الرجل الخشبي)،عُهد إليه بالقيادة العليا في الحرب ضد بيزنطة بعد ان انتصر على الأقوام(الآفار والسلاف) التي كانت تهدد الحدود الشمالية والشرقية، ولكنه مني بالهزيمة أمام البيزنطيين، فانتزع هرمز القيادة منه بطريقة مهينة ، لذلك تمرد بهرام على ملكه و رفع – وكان واثقاً من جنده – علم الثورة ومما أثار التمّرد في البلاد كلها.

وفي هذا الوقت قام بعض أفراد الأسرة المالكة، ودخلوا القصر الملكي فخلعوا الملك وألقوه في السجن وفقئوا عينيه ، ونصبوا ابنه الثاني كسرى ملكاً، وهو الملقب بأبرويز (المظفر) ولكن بهرام لم يكن مستعداً لمبايعة الملك الجديد ، لأنه كان طامعاً في العرش .فاستمر في ثورته معتمداً على أنصاره، مما أجبر الملك كسرى على الفرار أمام قوات بهرام المتفوقة.

دخل بهرام مظفراً إلى العاصمة وصك النقود باسمه، بينما كان كسرى يعبر الحدود البيزنظية ويحتمي بالإمبراطور البيزنطي موريس هيأت[10] هذه الأحداث فرصة ذهبية لبيزنطة للتوسع على حساب الساسانيين ، فكان ثمن مساعدة البيزنطيين لكسرى تنازل الساسانيين عن بعض أراضيهم ، ليكون خط الحدود بين الطرفين يبدأ من بحيرة – فان – إلى سيفا – دوين – تفليس – نصيبين – وبهذا الثمن استعاد أبرويز عرشه[10]

وقد عمل الإمبراطور موريس على مناصرة كسرى وأمده بالعون الحربي، على أن يتنازل له كسرى عن مدينتي (دارا و ميافارقين)[11]

وبعد ان تمكنت القوات البيزنطية من هزيمة بهرام جوبين رسمت الحدود بموجب معاهدة عام 591 والتي نصت على:

1. تنازل إيران عن الأجزاء التابعة لها من أرمينية .
2. تنازل إيران عن إقليم الجزيرة بما فيه مدينة دارا.
3. التخلي عن شرط الإتاوة التي تدفعها بيزنطة لإيران ، ومثلت هذه المعاهدة ثأراً انتظره البيزنطيين طويلاً[12]

مكنت المعاهدة السابقة الإمبراطور البيزنطي من التفرغ للجبهة الغربية وأوروبة ، وشن حرباً هجومية على الآفار والسلاف* ، وقد نجحت حملته الهجومية بحيث أن الرومان عادوا في سنة (602) إلى الضفة الشمالية للدانوب.

---

[7]- بروكلمان ،كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة ،أمين فارس، ط1، بيروت،1948، ص62.

*** اصطخر، مدينة قديمة تقع في جنوب إيران ، كانت مدينة مزدهرة خلال الفترة الإخمينية http//ar.m.wikipedia.org**

[8]- كرستينسن ، إيران في عهد الساسانيين، ترجمه يحيى الخشاب – دار النهضة – بيروت د. ت أ ص 425.

[9]- نفسه، ص 426-428.

[10]- العلان ، فارس وبيزنطة ،2009 ، ص151.

[11]- كرستينس، تاريخ إيران في عهد الساسانيين، ص 428.

[12]-العلان، أرواد ، فارس وبيزنطة ، ص

2ً: أوضاع بيزنطة :

في أواخر القرن السادس وبعد موت الإمبراطور جوستنيان الأول الذي حاول جاهداً الحفاظ على وحدة الإمبراطورية ، دخلت الإمبراطورية في طور من الضعف ، امتد قرابة قرن من الزمن (565 –610 م) على الرغم من أن أباطرة هذه الفترة مثل الإمبراطور موريس (582 –602 م) ، حاول جاهداً الحفاظ على كيان الامبراطرية[13] لكنه قتل مع أولاده في سنة (602 م) على يد فوكاس ، ووصل فوكاس إلى الحكم (602 – 610 م) وكان عهده عهد إرهاب ازدادت فيه الإمبراطورية ضعفاً باطراد إذ فقدت الحكومة كثيراً من قوتها العسكرية فضلاً عن النزاع الديني* الذي كان قائماً في كل الولايات البيزنطية[14]

كما قامت الفتن والثورات في الجيش، وسادت المدن حالات الهياج الشعبي ' فعمّ الخوف وساد القلق كل مكان.

انتهز الفرس ضعف الإمبراطورية البيزنطية ، فعاد التنافس بين الإمبراطوريتين، انتهى بحرب كانت سوريا التي عدت آنذاك من الأراضي البيزنطية مسرحها ، فبين عامي (603– 628) دارت على أرضها آخر الحروب وأكبرها بين الفرس والبيزنطيين على سورية .

عندما حاول البيزنطيون استعادة ما بين النهرين بدعوى أنها كانت (رومانية) ، في حين كان الفرس يحلمون بإعادة بناء الإمبراطورية الإخمينية الكبرى التي ضمت سورية ومصر في مرحلة من مراحلها.

ومن أجل تحقيق ذلك استعملوا وسيلتي السياسة والحرب ، وفي أيام كسرى الثاني حدث تغير مشهود لأسلوب الحرب ولم تعد أعمال الساسانية[15] الحربية مقصورة على الغارات ، بل أخذت شكل الاحتلال والتوسع وجني الغنائم.

الأسباب البعيدة والمباشرة للصراع الفارسي البيزنطي :

أولاً– الأسباب البعيدة:

أ –تعد منطقة الفرات المنطقة الحدودية المشتركة بين الدولتين، لذلك شهدت احتكاكاً دائماً بين الطرفين، وكانت كل دولة تستغل ظروف الدولة الأخرى لإحداث تغيرات في هذه الحدود، وكانت معظم هذه المناطق الحدودية غير مستقرة، فحيناً تكون تحت سيطرة الفرس (الساسانيين) وتارةً أخرى تعود إلى سيطرة البيزنطيين [16] كما ان الصراع كثيراً ما قام حول مدن أو مناطق صغيرة.

وامتد هذا الصراع للسيطرة على العرب القاطنين في المناطق الحدودية بين الدولتين ، فالفرس والساسانيون يدعمون المناذرة ، فيما كان البيزنطيون يدعمون الغساسنة ، ليقفوا مناوئين لحلفاء الفرس الساسانيين[17]

كما كانت طرق التجارة الدولية سبب رئيسي في هذا الصراع، لأن التحكم في التجارة الدولية وفي طرقها أحد أهم مظاهر القوة والثراء للدولتين.[18]

وكان لسوريا في العصر البيزنطي علاقات تجارية داخلية وخارجية ، وكانت جميع تجارة البحر المتوسط تقريباً تمر من خلالها[19]

---

[13]- توينبي، أرنولد ، تاريخ البشرية ، نقله إلى العربية د. نقولا زيادة ، ط4 ،2003 ، بيروت ، ص 411.

[14]- النفزاوي فارس وبيزنطة، ص 164.

[15]- العلان ، تاريخ فارس وبيزنطة ، ص 191.

[16]- إيليسيف ، نيكيتا ،الشرق الإسلامي في العصر الوسيط ،ترجمة منصور أبو الحسن ، بيروت ، 1986 ،ص 36.

[17]-العريني ،الباز ،الدولة البيزنطية، بيروت ،1982 ، ص 23.

[18]- المسعودي ،أبي الحسن علي بن علي المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج2، ط2، بيروت ، 1965 ، ص83.

[19]- Haldon. Jf. Byzantiom in the seventh centery, Cambridge 1997 , P. 346

كما كان الحرير من السلع التي حافظت على أهميتها، وسيطر السوريين على جزء من تجارته ،حيث كان لهم معرفة بتربية دود القز وصناعة الحرير التي ارتبطت بصناعة الأرجوان.[20]

وباختصار كانت الكتلة الأساسية للتجارة العالمية في العصور الوسطى تسير من الشرق الأقصى إلى البحر المتوسط[21]

ب – أما بالنسبة لأوضاع سورية الداخلية في تلك الفترة، فقد تمزقت وحدة الغساسنة ، وتجزأت المملكة إلى أقسام متعددة يرأس كل منها أمير من سكانها، وقد تحالف بعض الأمراء مع دولة الفرس الساسانيين وحافظ البعض الآخر على استقلاله ، بينما بقي البعض الآخر بجانب بيزنطة، وبقيت الفوضى سائدة حتى غزت الدولة الفارسية سورية في عام (611 م) (ويحتمل أن يكون هرقل قد أعاد السلالة القديمة حين طرد الفرس من البلاد بعد أربع عشرة سنة).

وبقي الغساسنة في المنطقة وحاربوا إلى جانب بيزنطة، حيث حارب آخر ملوكها ، جبلة بن الأيهم في عام (636 م)– (15 هـ) ضد المسلمين في معركة اليرموك[22]، وبالمقابل كانت فارس الساسانية منطقة تهديد لتجارة الدولة الرومانية، ومن بعدها الدولة البيزنطية.

وأحياناً كانت تفرض عليها رسوماً جمركية عالية، وأحياناً أخرى كانت تقطعها قطعاً تاماً في فترات الحروب، وكانت الدبلوماسية البيزنطية طول القرنين الخامس والسادس تبذل قصارى جهدها لضمان استمرار الطريقين البعيدين عن فارس الساسانية، وذلك إما بالتفاوض مع الممالك الهندية والتركية الضاربة في السهوب وإما مع مملكة أكسوم* التي كانت تتحكم في تجارة البحر الأحمر[23]

جـ– وأخيراً فإن الدولتين كانتا تتعرضان أحياناً لعوامل التراجع، فكانت كلاً منها تنقض على الأخرى عندما ترى الفرصة مواتية للهجوم وتحقيق الانتصارات العسكرية. كما استغلت فترات السلام استعداداً للجولات القادمة من الصراع[24]

نتيجة هذه العوامل والمعطيات كان من الطبيعي أن يقوم الصراع بين الدولتين. لتكون نهايته في عهد الإمبراطور البيزنطي هرقل، والملك الفارسي كسرى الثاني(أبرويز)[25]

ثانياً: السبب المباشر:

شكل اغتيال الإمبراطور البيزنطي موريس عام 602 م الفرصة المواتية للملك الفارسي كسرى، فوجد الفرصة سانحة للتدخل في أراضي الإمبراطورية البيزنطية ولاسترداد ما خسره من قبل، بحجة الانتقام لمقتل الإمبراطور موريس[26] خاصة وأن أحد أبناء موريس ، وهو ثيودسيوس نجا من القتل والتجأ إلى كسرى مستجيراً به وطالباً مساعدته، فأجاره ووعده بالمساعدة.[27]

---

[20]- حتي ، فيليب ، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ترجمة جورج حداد ،عبد الكريم رافق، ج1 ، بيروت ، ص389
[21]- رانسيمان، ستيفن تاريخ الحضارة البيزنطية ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ، مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة ، 1961 ، ص 194،.
[22]- نفسه، ص ،391.
[23]- حتي ، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ج1 ، ص ،450.
[24]- رانسيمان ، الحضارة البيزنطية ، ص ،196.
[25]- باقر، طه ، وآخرون ، تاريخ إيران القديم ، مطبعة جامعة بغداد ، 1972، ص51.
[26]- فرزات ، مدخل إلى تاريخ فارس، ص، 144.
[27]- توينبي ، تاريخ البشرية، ص، 414.
*** مملكة أكسوم مدينة في إثيوبيا ، كانت مقر مملكة أكسوم من القرن الأول الميلادي حتى القرن الثاني عشر الميلادي http//ar.m.wikipedia.org..**

وما كان من كسرى الثاني إلا أن عمد إلى تنظيم سلسلة من الحملات المتلاحقة المفاجئة التي أدت إلى إبعاد الروم إلى شواطئ البحر المتوسط ، وبعد أن جعل الملك الفارسي أراضي الأناضول تحت رحمة قواته .اجتاح سورية وفلسطين ووصل إلى القدس[28]كانت هذه الحرب أشد الحروب التي دارت رحاها بين البيزنطيين والفرس الساسانيين[29]

لعله من الممكن اعتبار تلك المساعدة التي سبق أن قدمها موريس لكسرى، كانت هي السبب في الاستجابة لاستجارة ابن الإمبراطور موريس هذه فضلاً عن الأسباب التي دفعت كسرى لاتخاذ هذا الموقف.

نتائج الصراع الفارسي البيزنطي على سورية:

جهز كسرى جيشه بحجة الانتقام لمقتل موريس، واختار لقيادته رجلاً شجاعاً يدعى رومزان (Romizan) ، وأوصاه باتباع العنف مع البيزنطيين وسماه (شهر باراز) (Shahrbaraz) ، وهذا القائد هو الذي سيقود معظم المجهود الحربي الفارسي في المعارك[30] القادمة مع الروم ابتداء من سنة (603)[31]

في أخبار هذه الحملة يذكر الدينوري *" ان الملك الفارسي كسرى أبرويز وجه ثلاثة قواد أحدهم شاهين في أربعة وعشرون ألف رجل ، فوغل بأرض الروم حتى انتهى إلى خليج القسطنطينية فعسكر* هناك."

والقائد الآخر (بوبوذ) ، وهو الذي ورد ذكره معنا باسم رومزان على نحو ما تسمية بعض النسخ الأوروبية، سار نحو أرض مصر وانتهى إلى الإسكندرية وافتتحها وأخذ أسقف الإسكندرية أسيراً وعذبه حتى يدله مكان صليب الصلبوت وهو الخشبة التي يعتقد النصارى أن المسيح صلب عليها، والقائد الثالث (شهريار) سار حتى أتى الشام فقتل أهلها وأخذها عنوة.[32]

استيلاء الفرس على الرها:

خرج شهر باراز مع ثيودسيوس– ابن موريس – على رأس الجيش الفارسي حتى وصلا إلى قرب مدينة دارا (Dara) انتظاراً لوصول كسرى الذي قرر أن يشارك في الحملات، والذي وصل بعد أيام وقرر تقسيم جيشه إلى قسمين، فأبقى القسم الأول لحصار دارا، وسار بالقسم الثاني إلى الرها وقبل وصول كسرى إلى الرها كان القائد البيزنطي نارسيس (Narses) الذي تولى أمر منطقة ميزوبوتاميا (Mesoptomie) بلاد الرافدين، قد أعلن تمرده على الإمبراطور فوكاس ودخل بجيشه مدينة الرها واستولى عليها، وأرسل إليه فوكاس جيشاً بقيادة جيرمان (Germain) الذي نجح في استعادة الرها وأخرج نارسيس منها [33]، ولكن كسرى استطاع هزيمة هذا الجيش البيزنطي واستولى على مدينة الرها، ثم عاد إلى مدينة دارا التي استسلمت للفرس بعد حصار طويل[34]

تواصلت الهجمات الفارسية على الأراضي البيزنطية، بينما كانت بيزنطة غارقة في مشاكلها وصراعاتها الداخلية حيث قام قائد الجيش الفارسي شهر باراز سنة (606) بمهاجمة بلاد ما بين النهرين وحاصر آمد (ديار بكر)[35]

[28]- فرزات ، تاريخ فارس، ص ،144.
[29]- توينبي ، تاريخ البشرية ، ص، 414 .
[30] -روبرتس، ج. م. موجز تاريخ العالم (الجزء الأول) ، ترجمة فارس قطان دمشق ، 2004 ، ص319 .
[31]- شهرباراز بالفارسية تعني خنزير الملك، وكان الخنزير رمزاً للقوة والرجولة في فارس انظر: (كرستينسن) ، مرجع سابق ، ص 127
[32]- الدينوري ، ابو حنيفة أحمد بن داؤود ، الأخبار الطوال ، تحقيق عبد المنعم عامر ، مراجعة جمال الدين الشيال ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ط1 ، 1960 ، ص106.
[33]- Osrogrsky. G. History of the Byzantine that trans from Germany. By Jan hssaey second. London J. J press 1968 – P 92
[34]- Cambridge medival history
[35]- Vasiliev. History of the ByzantinEmpierwisconusim the university of Wuisconsim press 1970 P 213

وبدأ الفرس يزحفون شمالاً إلى ولايات آسيا الصغرى، ولم يستطع الإمبراطور فوكاس أن يفعل شيئاً، وعندما حرك جيشه بفعل الضغط الشعبي مني بهزيمة منكرة[36]

في هذا الوقت حصلت تغيرات في بيزنطة، فقد قتل فوكاس وتولى هرقل الحكم، وهذا لم يكن كافياً لإيقاف تقدم الفرس وهجماتهم على الأراضي البيزنطية التي بدأت بحجة الانتقام لمقتل الإمبراطور موريس[37]

شعر الإمبراطور هرقل بعدم قدرته على مواجهة التحدي الفارسي خاصة وأنه كان يفتقد إلى الجيش المنظم والمدرب، وخزانته خاوية، وما زالت أموره السياسية والإدارية تحتاج إلى تنظيم، فرأى أن يطلب الصلح، فأرسل رسلاً بهدايا عظيمة وخطابات إلى كسرى بحثاً عن السلام ويعلمه أن فوكاس الذي قتل صديقه موريس قد قتل.

لكن كسرى رفض هذا العرض وهدد بإخضاع الإمبراطورية كلها، بل ذهب إلى أكثر من ذلك حيث استولى على الهدايا وقتل الرسل.[38]

استيلاء الفرس على أنطاكية

ركزت خطة الفرس في هذه الفترة على انتزاع الجناح الشرقي من الإمبراطورية البيزنطية مستغلة الظروف السيئة التي تمر فيها بيزنطة، فبادر القائد الفارسي شهرباراز بالتقدم نحو أنطاكية التي كانت من أكبر المدن البيزنطية في سورية وأكثرها حصانة، لكنها سقطت، وقتل بطريركها، وأخذ الفرس عدداً كبيراً من أهلها أسرى[39]

وقد أراد كسرى توسيع هجومه على الراضي البيزنطية تحسباً لوصول الإمبراطور الجديد (هرقل) واستباقاً لأي جهود يمكن أن يقوم بها. لذلك استدعى القائد شاهين (Sahin) وأمره بالمسير نحو الغرب بهدف تغطية جيش شهرباراز الذي سار جنوباً نحو فلسطين وليمنع الهجوم عليه، وليفتح جبهة جديدة ضد البيزنطيين، [40]ونجح شاهين في الاستيلاء على قيصرية، نهاية عام (612) م

كان الفرس قد حققوا انتصارات هامة باستيلائهم على الجزء الأكبر من سوريا، مما جعل البيزنطيين يفقدون اتصالهم البري بولاياتهم في فلسطين وإفريقية ومصر [41] قاد الإمبراطور البيزنطي هرقل جيشاً خاض معارك دامية أمام أبواب انطاكية عام (613) م إلا أنهم منيوا بهزيمة فادحة، وأصبح الطريق مفتوحاً أمام الفرس للاستيلاء على باقي سوريا وفلسطين بعد أن نجح شهرباراز في الاستيلاء على دمشق عام (613) م[42]

الاستيلاء على دمشق

عاشت دمشق في القرنين الخامس والسادس حقبة ازدهار عمراني، واجتماعي، وثقافي واقتصادي، ولم تنلها أو تطالها الحروب والهجمات والغزوات من الخارج، لكن مع القرن السادس انهالت على البلاد سلسلة من النكبات[43]

---

[36]- موسى ، ميلاد العصور الوسطى ، ترجمة عبد العزيز جاويد ، القاهرة ، 1967 ، ص 230.

[37]- تولى هرقل عرش الإمبراطورية البيزنطية في الخامس من أكتوبر عام (610) م بعد مقتل فوكاس وتم إعلانه إمبراطور في كنيسة أيا صوفيا.

[38]- Theophanes. The chronch. Of teophanes confess or End. By gmango and R. Scott. Oxford [99] P429

[39]- Vasiliev – opcit – oo1. P 198.

[40]- رستم ،أسد ، الروم ، ط2 ، بيروت ، 1988 ، ج1 ، ص 154.

[41]- نفسه ، ص، 223.

[42]THOPHANES – OP. CIT. P 430.

[43]- رستم ، الروم، ج2 ، ص 224.

هاجم الفرس دمشق وروعوا أهلها بالقتل والأسر، وتركوا المدينة خراباً بعد أن نهبوها، وكان لهذه الحملة أثر كبير على المدينة فقد أحرقت بيوتها، وسبي الكثير من سكانها إلى بلاد فارس خاصة أصحاب المهن الحرة وأهل الحرف، وبعد احتلال الفرس لأنطاكية ودمشق احتلوا بعلبك وحلب وأفامية وحمص[44] ثم اتجهوا نحو بيت المقدس[45]

الاستيلاء على بيت المقدس

فقد تابع شهرباراز مسيره منطلقاً من قيسارية على رأس جيش كبير تجاه بيت المقدس التي كان لها وضعها الخاص عند النصارى، فقد تجمعت فيها ثروات ضخمة، ثم كان لسقوطها أبعاد إستراتيجية ونفسية وعقائدية كبيرة على الإمبراطورية البيزنطية[46] ويذكر بعض المؤرخين أن الفرس أرادوا الاستيلاء على المدينة سلماً حتى ينعموا بالسلام والرخاء، خضع أهل المدينة واستسلموا بعد أن قدموا هدايا كثيرة للقائد الفارسي وللأمراء الفرس، وغادر شهرباراز المدينة بعد أن وضع فيها حامية لحراستها[47]

وبعد عدة شهور وثب أهل المدينة على الحامية الفارسية وقتلوا كل من فيها، ثم أغلقوا باب المدينة، وحدث قتال بين النصارى واليهود أباد فيها النصارى أعداداً من اليهود الذين كانوا يقفون إلى جانب الفرس[48]

وجاء في تاريخ أحداث السنة الثانية لحكم هرقل ما يلي *"في هذه السنة وفي حوالي شهر حزيران نزل من المصائب ما يستحق البكاء بشكل أبدي، لأن القدس مع عدد كبير آخر من مدن الشرق، جرى الاستيلاء عليها من قبل الفرس، وتم قتل آلاف كثيرة من رجال الدين والرهبان هنا فيها*[49]

فقد عاد قائد الجيش الساساني شهرباراز وشرع في حصار بيت المقدس، بعد أن فشلت خطة الاستيلاء السلمي عليها، نصب آلاته ومعداته، وأقام المنجنيق وبدأ الحصار، وخلال فترة الحصار التي استمرت عشرين يوماً ضرب المدينة دون هوادة، ورغم البسالة التي أبداها أهل المدينة، إلا أن الفرس استطاعوا حفر سراديب أسفل الأسوار ودعموها بالخشب وأشعلوها بالنيران، فانهارت الأسوار ودخل الفرس المدينة [50]وخلال ثلاثة أيام أباد الفرس عدداً كبيراً من أبناء المدينة، ولم يتورعوا عن قتل كل من يلقوه من أهلها، وأشعلوا فيها النيران، وعملوا على تخريب الكنائس، وقدر عدد القتلى بما يتراوح بين 57 – 90 ألفاً[51] وأجبروا عدداً من رجال الدين على الإدلاء بمكان صليب الصلبوت، وهو أثمن المقدسات النصرانية [52] وبهذا أنزل الفرس بالإمبراطورية البيزنطية هزيمة كبيرة وقاسية، تسببت في إضعاف هيبة الإمبراطورية بشكل لم يسبق أن فعلته كل الهزائم السابقة[53]

وباستيلاء الفرس على القدس استكملوا استيلاءهم على سوريا، وبدؤوا يتحركون لموقع آخر من أراضي الإمبراطورية البيزنطية ليطبقوا عليها ويعرضوها لمزيد من الهزائم، وكانت وجهتهم التالية مصر التي غزاها الفرس سنة

---

[44]- Camb. Med. Hist. Vol2. P 289.

[45]- أثناسيوس ،الأب متري: سورية المسيحية في الألف الأول الميلادي سورية الشمالية ، م1 ، ص 584.

[46]- حتي ،فيليب ، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ترجمة كمال اليازجي ، لبنان بيروت ، ج2 ، ص 30.

[47]- the ophanes , opcit. P 431

[48]- اسماعيل ، ليلى عبد الجواد ، الدولة البيزنطية في عصر الإمبراطور هرقل، القاهرة ، 1985 ، ص 214.

[49]- Vasiliev , opcit. P 198

[50] -زكار ، سهيل القدس في التاريخ منذ ميلاد المسيح حتى الفتح العمري الإسلامي ، ط1 ، 2002 ، ج2، ص 77 .

[51]- عمران ،محمود سعيد – معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1981 ، ص 71 .

[52]- رستم ، الروم ، ج1 ، ص ،224 .

[53]- كرستينس،آرثر، إيران في عهد الساسانيين، ص435.

(616)[54] التي كانت ذات أهمية كبيرة للرومان في البحر المتوسط ، [55]بالإضافة إلى أن حكم هرقل في الداخل كان يعاني من اضطرابات رغم مرور فترة من الزمن على استلامه السلطة.

وفي هذه الفترة أصدر كسرى أوامره بمهاجمة العاصمة البيزنطية، وفي المعركة التي دارت بين الطرفين هزم الفرس.

فتحت هذه المعركة آفاقاً جديدة في الصراع بين الدولتين [56] استمر لخمس سنوات حقق فيها البيزنطيون انتصارات كبيرة على الفرس وعلى الرغم مما حققوه من نصر على الفرس في أعقاب الحملة البحرية، إلا أن الإمبراطور هرقل شعر أنه لا يستطيع أن يبقى مكتوف اليدين، وهو يشاهد الجموع الفارسية بالقرب من عاصمته ، تهدده من ناحية البحر ، أخذ يفكر بأسلوب عملي يستطيع به رد الأعداء، وفكر في ترك العاصمة ونقل مقر حكمه إلى شمال إفريقية ليستطيع إعداد جيش يخلص الامبراطورية[57] ولكنه قرر السعي لبناء جيش في مقره في القسطنطينية يكون قادراً على رد الأعداء الذين يحيطون بها ولكن لا سبيل إلى ذلك إلا بتوفير الأموال اللازمة . وقد استطاع تأمين ما يحتاجه من خلال ذخائر الكنائس وأموالها ومجوهراتها على أن تعاد عقب انتهاء الحرب ، [58]بعد ذلك رأى الإمبراطور هرقل أن من الأفضل بدلاً من أن يضيع وقته وجهده في استعادة الأراضي القريبة من وسوريا ومصر وفلسطين أن ينقل المعركة إلى أراضي الفرس، فيقاتلهم في عقر دارهم.

وعندما تقابل الجيشان وجهاً لوجه، استمر هرقل في زحفه نحو الشرق، وتظاهر بقضاء الشتاء هناك فانخدع الفرس وبدأوا الانسحاب ليواصل هو طريقه نحو فارس.

وعندما شعر شهرباراز بالخطة بدأت مناوشات بين الطرفين سرعان ما تطورت إلى حرب عنيفة لقي الفرس هزيمة منكرة واحتل البيزنطيون المعسكر الفارسي.[59]

وعندما سمع كسرى بأنباء هزيمة جيشه انتابه حالة من القلق، وبدأ يرسل الإمدادات إلى القائد شهرباراز لتقوية جيشه وأمره بغزو الأراضي البيزنطية، لكنه لم يستطع تنفيذ هذه الأوامر إلا في عام (623) بعد أن استغرق إعداد الجيش وقتاً طويلاً[60]

وعندما جهز كسرى 40 ألفاً من رجاله وواجه البيزنطيين عند مدينة كاتزاك عاصمة إقليم أذربيجان فهزم الفرس وهرب كسرى[61] إلى مدينة تبريز التي تقع في الجزء الجنوبي من أذربيجان وطارده هرقل. فواصل كسرى طريقه إلى إقليم ما بين النهرين، وبدأ يجهز جيشاً جديداً بقيادة شاهين، وعادالقائدشهرباراز بجيشه إلى نينوى (Niniueh) على نهر دجلة.[62]

وأراد كسرى في هذا الوقت تعويض خسائره السابقة ووقف تقدم هرقل [63] لكن هرقل كان قد أصبح سيداً على أرمينيا وعلى أذربيجان وجزء من فارس وبعد ثلاث سنوات من القتال [64]وعند الفرات التقى الإمبراطور هرقل بالقائد شهرباراز الذي كان متجهاً إلى القسطنطينية، ودارت معركة عند أحد الجسور وتكبد الفرس فيها خسائر فادحة[65]

---

[54]- العريني ، الدولة البيزنطية ، ص 418 .
[55] -بتلر، الفريد ، فتح العرب لمصر ، ترجمة محمد فريد ابو حديد ، المركز العربي للنشر ، الاسكندرية ، 1989 ، ص 3 .
[56]- سايروس، تاريخ بطاركة الاسكندرية ، سلسلة التراث العربي المسيحي ، القاهرة ، 1987 ، ص 221 .
[57]- سايروس، تاريخ بطاركة الاسكندرية ، سلسلة التراث العربي المسيحي ، القاهرة ، 1987 ، ص 221 .
[58]- Ostrogorsky op . cit . P-87 .
[59]- Theopaves . op . cit . P436

61-رستم ،الروم ،ص221.
[61]- نفسه،ص222

[62]- Vasilieav . op . cit . vol . 1 . p . 197
[63]- Vasiliev – op . cit . vo1 . P247 .

هذا وأمضى هرقل ست سنوات من الحروب والصراع مع الفرس لتحقيق هذه النهاية في الصراع الطويل معهم الذي توجه بانتصار كبير عليهم على أبواب العاصمة المدائن، وفي سنة (636 م) دخل هرقل بيت المقدس دخول الظافرين، ومعه صليب الصلبوت الذي كان الفرس قد انتزعوه عندما استولوا على المدينة، وكان هرقل قد حقق تلك الانتصارات بسبب انهيار الساسانيين.

الصلح الفارسي البيزنطي:

كانت التطورات السياسية التي حدثت في فارس في تلك الفترة في صالح البيزنطيين[66] ففي عام 628 قامت ثورة ضد كسرى انتهت بعزله[67]، ويذكر الطبري هذه الحادثة فيقول: *إن عظماء فارس قالوا لشيرويه أنه لا يستقيم أن يكون لنا ملكان، فإما أن تأمر بقتل كسرى فأمر بقتل كسرى، وانتدب شخص يدعى مهر هرمزينمردانشاه، ثم أمر شيرويه بقتل قاتل أبيه*[68]

وبناء على أمر ابنه شيرويه الذي توج ملكاً على الفرس في 25 فبراير (628 م) فقد عقد اتفاقية سلام وصلح مع البيزنطيين[69] نصت على إعادة الحدود إلى ما كانت عليه عام (591 م)، والجلاء عن جميع الأراضي التي احتلها الفرس وإطلاق سراح الأسرى وعودة صليب الصلبوت إلى مدينة القدس.[70]

وكان هذا هو الفصل الأخير في الصراع بين الدولتين، كما أن الهزيمة الفارسية لم تحقق للإمبراطورية البيزنطية أي نوع من الأمان، لأن الإمبراطوريتين وخلال صراعهما لم تدركا أن هناك قوة أخرى أخذت تفرض نفسها في المنطقة، وهي الدولة الإسلامية المنبعثة من شبه الجزيرة العربية. وهكذا بدأت الإمبراطورية الساسانية تسير قدماً نحو الدمار حتى وصل إلى العرش سنة (632 م)، يزدجرد آخر ملوك الساسانيين[71]

ويذكر المسعودي في مروج الذهب آخر الملوك الساسانيين بقوله " ثم ملك يزدجر بن شهريار بن كسرى أبرويز بن هرمز بن أنو شروان بن قباذ بن فيروز بن بهرام بن يزدجر بن سابور بن هرمز بن سابور بن أزدشير بن بابك بن ساسان، وهو آخر ملوك الساسانية" .[72]

.

[64]-Camb – mel . Hist . vol 11 . P294

[65]- Theopanes – op . cit . P446 .

[66] -كرستينس ، إيران في عهد الساسانيين، ص 431 .

[67]-رستم ، الروم ، ص 227 .

[68]-اسماعيل، الدولة البيزنطية ، ص 252 .

[69]-The ophanes – op . cit . P460

[70]-ابن الأثير ،عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم ، الكامل في التاريخ ، بيروت ، م1 ، ص 274-275 .

[71]- الطبري ، أبي جعفر محمد بن جرير المعروف بالطبري ، أخبار الأمم والملوك ، بيروت . ج 2 ، ص229 .

[72] -المسعودي ،أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر،ج1، ط6، تحقيق ،يوسف داغر ، دار الأندلس، بيروت، 1984، ص310.

خاتمة :

لقد كان لهذا الصراع الطويل نتائج مباشرة على الدولتين، اللتين تربط بينهما حدود مشتركة، وهذه الحدود كانت عرضة للمد والجزر وعدم الاستقرار، ولكن المعاهدة التي عقدها شيرويه مع ملك البيزنطيين اختتمت الصراع بين الدولتين وانتهت صفحة من صفحات النزاع بين الشرق والغرب.

ولكن ما لبث الفرس أن خرجوا من دائرة النفوذ والتأثير بالأحداث، فقد هزمهم المسلمون وحلوا محلهم في الصراع مع البيزنطيين.

لقد كان هذا الصراع طويلاً أنهك قوى الإمبراطوريتين ، وحمل سكان المنطقة الكثير من المعاناة فكانوا على استعداد للوقوف خلف أي قوة أخرى تقيهم شرور حرب الفرس والروم . تمثلت تلك القوة بالعرب المسلمين الفاتحين الجدد ، يحملون معهم دينهم الجديد الذي يدعوا للتسامح والمحبة ، وقد استفاد الفاتحون المسلمون من تردي أوضاع كل من الفرس والروم ،بعد أن أثقلت كاهلهم الحروب الطويلة التي استمرت طيلة القرن السادس الميلادي والنصف الأول من القرن السابع الميلادي ، ليزحفوا بجحافلهم ويقضوا على نفوذهم في الشام والعراق ، وليمهدوا لأنفسهم الطريق لغزو الإمبراطورية الفارسية في عقر دارها والقضاء عليها وضم أراضيها لاحقاً للدولة الإسلامية .

المصادر المستخدمة في البحث :

1. ابن الأثير *(عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم الكامل في التاريخ)* ، تحقيق محمد ابراهيم، ط 3، بيروت ، 1977.
2. ابن المقفع : سايروس : *تاريخ بطاركة الاسكندرية* – سلسلة العربي المسيحي – دار العالم العربي القاهرة – 1978 م .
3. الدينوري(أبو حنيفة أحمد بن داود ، *الأخبار الطوال*) ، تحقيق عبد المنعم عامر ، دار إحياء الكتب العربي ط1 ، القاهرة 1960 م .
4. الطبري (أبو جعفر بن جرير *تاريخ الرسل والملوك*). تحقيق محمد أبو الفضل، ط2 ، بيروت، 1995 م .
5. المسعودي(أبي الحسن علي بن علي المسعودي ، *مروج الذهب و معادن الجوهر*) ، بيروت 1965 .

المراجع العربية والمعربة :

1. أثناسيوس، (الأب متري) *سورية المسيحية في الألف الأول الميلادي سوريا الشمالية ، سوريا الجنوبية* .
2. اسماعيل ، ليلى عبد الجواد ، *الدولة البيزنطية في عصر الإمبراطور هرقل* . دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1985 م .
3. ايليسيف ، نيكيتا ، *الشرق الإسلامي في العصر الوسيط* ، ترجمة منصور أبو الحسن ، بيروت، 1986 .
4. باقر ، طه ، فوزي رشيد ، رضا جواد هاشم ، *تاريخ إيران القديم* ، مطبعة بغداد 1980 م .
5. بتلر ، الفريد ، *فتح العرب لمصر* ، ترجمة محمد فريد أبو حديد ، المركز العربي للنشر والتوزيع ، الاسكندرية ، 1989 .

6. بروكلمان ، كارل ، *تاريخ الشعوب الإسلامية* ، نقله إلى العربية ، نبيه آمين فارس و منير البعلبكي ، بيروت ط1 ، 1948 .

7. بروي ، ادوار ، *تاريخ الحضارات العام (القرون الوسطى)*، بإشراف موريس كروزيه ، ترجمة يوسف أسعد داغر ، فريد م دغر ، ط3، بيروت، 1986،

8. توفيق ،عمر كمال، *تاريخ الدولة البيزنطية* ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية، 1977 م .

9. توينبي ، أرنولد ، *تاريخ البشرية* ، نقله إلى العربية د . نقولا زيادة ، ط4 ، بيروت ، 2003

10. حتى ، فيليب : *تاريخ سورية ولبنان وفلسطين* ، ترجمة جورج حداد هبد الكريم رافق ، كمال اليازجي ، بيروت . د.ت.

11. رانسيمان ، استيفن ، *الحضارة البيزنطية* ، ترجمة عبد العزيز جاويد مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1961 .

12. رستم، أسد ، *الروم في سياستهم و دينهم و ثقافتهم و صلتهم بالعرب* ، الطبعة الثانية ، بيروت 1988 .

13. روبرتس ج م ، *موجز تاريخ العالم* (الجزء الأول) ترجمة فارس قطان ، دمشق 2004 .

14. زكار ، سهيل ، *القدس في التاريخ منذ ميلاد المسيح حتى الفتح العمري الإسلامي*، ط1، 2002 .

15. العريني، الباز، *الدولة البيزنطية* ، دار النهضة العربية ، بيروت 1982 .

16. العلان ، أرواد ، *فارس وبيزنطة* ، دمشق، 2009 .

17. عمران، محمود سعيد، *معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية* ، ترجمة محمد مصطفى زيادة و الباز العربيني دار المعارف ، القاهرة 1969 .

18. فرزات ، محمد حرب ، *مدخل إلى تاريخ فارس و حضارتها القديمة قبل الإسلام* ، دمشق 1988 .

19. كرستينس ،آرثر ، *إيران في عهد الساسانيين* ، ترجمة يحيى خشاب دار النهضة العربية ، بيروت د. ت.

20. موسى، هسانت ، *ميلاد العصور الوسطى* ، ترجمة عبد العزيز جاويد عالم الكتب ، القاهرة ، 1967 م .

21. النفزاوي، محمد الناصر، *فارس و بيزنطة و الجزيرة العربية من القرن الثالث إلى القرن السابع* ، دار الجنوب للنشر .

المراجع الأجنبية :

1. HALDON . JF. *Byzantium In The Sey-Enth Century* . Cambridege. 1997
2. OSTROGORSKV . G.*HistoryOf The Byzantine Stat Trams From.German*By JOAN HASSEY Second Edition . J.J Press . London 1968
3. The Camb - *Medieval History* . Edited BY H.M.GWATKIN J.P WHITNEY . Volume 11 – Cambrigde. 1967 .
4. Theophanes. The Chronicle Of Theophanes Confessor Byzantine And Near Eastern History (AD.248-913) Edited By CYRIL MANGO AND ROGER SCOTT Oxford . 1997
5. VASILIEV . *Hestory Of The Byzantine Empire Uis*, londn(1995).